مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
المجلد:10؛ العـدد:01؛ 2021
ص 190-217

تاريخ الاستلام: 2021/03/04 تاريخ القبول: 2021/03/21

دراسة لبعض الكتابات الأثرية العربية في بايلك الغرب الجزائري بين الواقع والمأمول

الأستاذ يحياوي العمري، قسم علم الآثار –كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
omaryahiaoui90@gmail.com

ملخص:

الكتابات الأثرية مصدر رئيسي وهام من مصادر دراسة تاريخ حضارات الشعوب والأمم فهي وثائق مادية بارزة للعيان لا تقبل الطعن فيها بسهولة، كما أن هذه الكتابات الأثرية ترتبط ارتباطا عضويا بالخط الذي يعد اللغة المكتوبة لأي شعب وأمة ومن خلاله يمكن فهم تاريخ وانتماء تلك المخلفات الأثرية التي تركتها يد الإنسان مسجلة على المعالم الأثرية والفنون التطبيقية بكل أنواعها، فهذه الكتابات الأثرية العربية هي الناطقة والمعبرة عن المعالم الأثرية التي شُيدت على مدار فترات التاريخ المختلفة، وبدونها تصبح هذه المنشآت هياكل صماء، وستندرج دراستنا في إطار إبراز أهم المشاكل والعوائق والصعوبات التي تعاني منها هذه الكتابات، حتى يمكن للمختصين في هذا المجال من تداركها وتصحيحها وتصليح ما أمكن حتى تُساهم في الوعي والإرشاد السياحي، وسننطلق من إشكالية رئيسية تتمحور في أهم الصعوبات والعوائق وكذا المشاكل التي تُعاني منها هذه الكتابات الأثرية وما هي السبل الكفيلة بإعادة تأهيل هذه الكتابات الأثرية مما يكفل الاستفادة منها في الإرشاد السياحي للمعالم التراثية.

الكلمات المفتاحية: دراسة؛ الكتابات الأثرية؛ العربية؛ بايلك؛ الغرب الجزائري؛ الواقع.

A study of some Arab archaeological writings in Bailek, western Algeria, between reality and hopes

MR : Yahiaoui El Oumeri, Department of Archaeology - Faculty of Human and Social Sciences, Abo Bakr Belkaid University

omaryahiaoui90@gmail.com

Abstract :

Archaeological writings are a major and important source for studying the history of civilizations of peoples and nations, and through which it is possible to understand the history and belonging of those archaeological wastes left by the hand of man Recorded on monuments and applied arts of all kinds.

These Arab archaeological writings are speaking and expressing the archaeological monuments that were constructed throughout the different periods of history. Without them, these installations become deaf structures. Correct it, correct it, and repair as much as possible so as to contribute to awareness and tourist guidance.

We will start from a major problem that focuses on the most important difficulties and obstacles, as well as the problems that these archaeological writings suffer from, and what are the ways to rehabilitate these archaeological writings, in order to benefit from them in the tourist guidance of the heritag.

keywords: Study; Archaeological writings; Arabic; Baylak; Western Algeria; reality.

1- مقدمة:

الكتابات الأثرية تراث إنساني شاهد حي على حضارات الشعوب والأمم ووثائق مادية بارزة للعيان لا تقبل الطعن فيها بسهولة، كما أن هذه الكتابات الأثرية ترتبط ارتباطا عضويا بالخط الذي يعد اللغة المكتوبة لأي شعب وأمة؛ ومن خلاله يمكن فهم تاريخ وانتماء تلك المخلفات الأثرية التي تركتها يد الإنسان مسجلة على المعالم الأثرية والفنون التطبيقية بكل أنواعها، وتعد الكتابات الأثرية العربية ممثلة في الخط العربي بضروبه وأنواعه وخصائصه المتنوعة نموذجا باهرا وساميا ومتميزا يُلخص تجليات الفن الإسلامي على الآثار الإسلامية.

فهذه الكتابات الأثرية بفروعها وأنواعها هي خزان معرفي يتضمن أحداث تاريخية وحقائق علمية وحضارية، حتى قال بعض العلماء بأن هذه الكتابات تعتبر العلامة المميزة لآثار المسلمين في جميع بلدانهم، وللأسف الشديد هذا العنصر الفاعل في التراث المادي يعاني الكثير من الإهمال واللامبالاة وشتى أنواع الطمس وتزييف الحقائق وهو أمر بالغ الخطورة، حيث وقفنا على بعض النماذج من هذه الكتابات الأثرية العربية في الغرب الجزائري وكلها تعود إلى الفترة العثمانية منها معمارية وأخرى شاهدية، وستندرج دراستنا هذه في تتبع أهم وأبرز المشاكل والأخطاء والعوائق التي تعاني منها هذه الكتابات، حتى يمكن للمختصين في هذا المجال من تداركها وتصحيحها وترميم ما أمكن ترميمه، فمثل هذه المشاكل والنقائص تُشكل ضررا كبيرا على التراث الغني لبلادنا وتَحرم الكثير من الباحثين والمختصين، ناهيك عن الزوار والسياح القاصدين لهذه المعالم التراثية حيث تحُول هذه المشاكل من فهم الكثير من التفاصيل التاريخية والمعمارية والفنية مما يُفقدهم لذة التمتع بها، والهدف من هذه الدراسة لا يقتصر على التلقي الأكاديمي بقدر ما نأمل من القائمين على صيانة التراث وحفظه من ضرورة الأخذ بعين الاعتبار هذه المشاكل والنقائص التي تُعاني منها الكتابات الأثرية، التي هي بحق وثائق مادية في غاية الأهمية وجب الحفاظ عليها، وسننطلق من إشكالية رئيسية تتمحور حول أهم الصعوبات والعوائق وكذا المشاكل التي تُعاني منها هذه الكتابات الأثرية؛ وما هي السبل الكفيلة بإعادة تأهيلها، وهو ما يكفل الاستفادة منها في الإرشاد السياحي للمعالم التراثية وكذا الفنون التطبيقية، وذلك من خلال جملة من الإجراءات والتدابير الواجب اتخاذها في هذا المجال، وما هي الآليات والوسائل الكفيلة بحماية هذه النقوش الأثرية وحفظها من الاندثار؟

2- **الإطار التاريخي والجغرافي لبايلك الغرب الجزائري:**

2-1- موقع بايلك الغرب الجزائري:

كانت مساحة بايلك الغرب الجزائري ما يماثل القطاع الوهراني في وقتنا الحاضر، حيث يحدّه من الجهة الغربية المغرب الأقصى (المملكة المغربية) ومن ناحية الشرق بايلك التيطري ودار السلطان، ومن الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط، ومن الناحية الجنوبية الصحراء، وهناك من يعطي للمنطقة حدوداً أدق حيث يحدّها وادي شلف في الشرق وواد الملوية في الغرب والبحر الأبيض المتوسط في الشمال والصحراء في الجنو[1]، وكان الإقليم الغربي لبايلك الغرب من الشلف (أي ما بين العطاف وغليزان) تحت سلطة قبيلة سويد والتي كانت تهيمن على البلاد وسكان الونشريس والسرسو ومازونة، وما بين غليزان والحدود المغربية، كانت تحت تصرف ملوك بني زيان، وكانت العاصمة تلمسان[2].

2-2- ظروف تأسيس بايلك الغرب الجزائري:

خلال فترة حكم حسن باشا بن خير الدين (1540-1552م) للجزائر قُسمت هذه الأخيرة إلى ثلاث مقاطعات إدارية عُرفت كل منها باسم "البايلك"، أولهم بايلك التيطري وهو أكبر البايليكات اسماً وعاصمته المدية، وثانيهم بايلك الشرق يعني الجهة الشرقية وقاعدته قسنطينة، وثالثهم بايلك الغرب يعني الجهة الغربية[3]، وقد خضعت لنظام إداري واحد تقريباً[4]، وكان الغرض من هذا التقسيم الإداري هو تسهيل الحكم

---

[1] فتيحة لواليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1994م.

[2] المهدي البوعبدلي، **جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/ 2013م، ص158.

[3] الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، ص270.

[4] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص292.

العثماني لهذه المقاطعات الإدارية[5] ولم يكتمل بايلك الغرب بصفة نهائية إلا بعد خروج الإسبان من منطقة وهران سنة 1792م، وكانت عاصمة هذا البايلك تُغير من حين لآخر بين مازونة وتلمسان وقلعة بني راشد ثم انتقلت إلى معسكر ثم إلى وهران بعد الفتح الأول ثم انتقلت إلى مستغانم ثم عادت الزعامة مرة أخرى إلى معسكر ثم أخيرا إلى وهران بعد دحر الإسبان في الفتح الثاني[6] ، في حين كانت مازونة هي أول قاعدة له فكانت هذه المدينة في أوائل القرن السادس عشر شديدة التحصين إلا أن الحروب جعلتها مدينة فقيرة إذ كثيراً ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار الأعراب تارة أخرى حتى أصبحت قليلة السكان، وظلت مازونة عاصمة للبايلك حتى نهاية القرن السادس عشر، ومن أشهر باياتها الباي ابن خديجة الذي عينه حسن آغا على الناحية الغربية بعد الحملة على وهران سنة 1563م، وعمل على إقامة التنظيم الإداري في المنطقة الغربية، وبذلك كان الباي الفعلي الأول الباي السايح الذي حكم مدة 11 سنة، والباي محمد بن موسى والباي شعبان الزناقي الذي برز في إحدى الحملات على وهران وتوفي فيها[7]، وبعده ولى باشا الجزائر الباي بوشلاغم على بايلك الغرب الجزائري الذي قام مباشرة بنقل مقر الحكم إلى القلعة ثم إلى معسكر سنة 1115هـ/1701م[8]، ومن بين أسباب اختيار الباي مصطفى بوشلاغم لعاصمته الجديدة (معسكر) أنه كان في حاجة إلى موضع يكون حلقة ربط بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية، فهذه المدينة هي مركز هام على الطريق بين قلعة بني راشد وتلمسان، مما جعلها سوقاً لمنتوجات السودان ومستودعاً لبضائع فاس وملتقى تجارة الغرب الجزائري، وكذلك هي منيعة لموقعها على منحدرات بني شقران، ومن جهة أخرى تقع في مناطق زراعية تتمثل في سهل غريس، لكن الأهم من كل هذه العوامل هو أن معسكر اختيرت لتحقيق الأهداف العسكرية المتمثلة في محاصرة وهران والقضاء على الوجود

---

[5] Wasin Esterhazy, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles Gousselin, Paris, 1840, p163.

[6] محمد ابن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتعليق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص249.

[7] صالح عباد، **المرجع السابق**، ص292-293.

[8] محمد ابن يوسف الزياني، **المرجع السابق**، ص253-254.

الإسباني[9]، وليعيد الباي مصطفى بوشلاغم الكرّة لفتح مدينة وهران بمعونة الباشا محمد باكداش وصهره أوزن حسن سنة 1119هـ/1708م، ولما تم ذلك نقل كرسي مملكته من معسكر إلى وهران وأقام بها مدة ربع قرن حتى أعاد الإسبان الكرة عليها وتمكنوا من احتلال المدينة مرة أخرى سنة 1146هـ/1732م، فانتقل الباي بوشلاغم إلى مستغانم وصيرها قاعدة ملكه إلى أن وافته المنية سنة 1146هـ/ 1700م ودُفن في القبة التي بناها[10].

وجاء بعده ابنه يوسف وتوفي سنة 1147هـ وفي نفس السنة عُيّن مكانه مصطفى الأحمر المسراتي، ثم بعده الباي الملقب بقايد الذهب المسراتي، ثم محمد المجاجي[11]، ثم تولى الباي الحاج عثمان وينطق عصمان[12] وهو جد العصمانية ملوك وهران تولى في المرة الأولى بتلمسان وحاول المسراتية وعلى رأسهم يوسف المسراتي وأنصار البايات السابقين أن يغتالوه فأخفقوا، وتمكن منهم وقتلهم ثم تولى في المرة الثانية على جميع الإيالة الغربية في أواسط محرم سنة 1160هـ[13] وتوفي بالمعسكر ودفن بها بعدما ملك تسع أعوام 1169هـ/1155م[14]، وقد كان لهذا الباي عدة إنجازات عمرانية ومعمارية منها تشييده للجامع الأعظم بالمعسكر في نفس السنة التي تولى فيها زمام الحكم، كما بنى الدار والقبَّة المجاورة للجامع الأعظم بالمعسكر، المشهورة عند الناس بقبَّة الباي إبراهيم والتي دُفن بها وتسمى أيضا بقبة الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به، وأمر بكتابة اسمه وتاريخ بنائها على الحجارة[15]، وقد قام هذا الباي بعدة محاولات حثيثة

---

[9] صالح عباد، **المرجع السابق**، ص292-293.

[10] مسلم بن عبد القادر، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص19.

[11] محمد ابن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص254 – 255.

[12] مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص19.

[13] محمد ابن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص255.

[14] الأغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**،، ص284.

[15] محمد ابن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص256-257.

لاسترجاع مدينة وهران من الغزاة الاسبان، وتوفي الباي الحاج عثمان بالمعسكر سنة 1170هـ/1756م بعد أن مكث في الحكم تسعة أعوام[16]، وتولى الحكم بعده حسن باي سنة 1173هـ/1759م، ولكنه ترك الحكم وفر إلى إسطنبول لما أهانه باشا الجزائر وشدد عليه وأذله، ثم خلفه أبو إسحاق إبراهيم المليانى عام 1170 هـ، وكان يوصف بحبه للعلم والعلماء، حيث يقول عنه محمد بن يوسف الزياني "وكان هذا الباي من شدة محبته للعلماء، يشتري لهم الجواري الحسان، وجعلهم طبقات بحسب تفاوتهم في العلم، وكان يكثر من مجالستهم والمذاكرة معهم، ومن تعرض منهم لحاجة عنده قضاها له فورًا" ومن أهم أعماله العمرانية بناؤه لبرج العسكر بمعسكر سنة 1176هـ/ 1762م، وتوفي في عام 1185هـ/1771م ودفن بالمعسكر بالقبَّة التي بناها الباي الحاج عثمان للشَّيخ عبد القادر الملاصقة للجامع الأعظم، وبقي في الملك أربع عشرة سنة[17]، ثم الحاج خليل باي، وتولى الحكم سنة 1185هـ/1771م وكان مبغضاً للعلماء وأولياء الله الصالحين وغيرهم، من أهل النفع، وتوفي بتلمسان سنة 1193هـ/1778م[18].

ويعد الباي محمد بن عثمان الكبير من أعظم بايات الغرب الجزائري، وهو فاتح وهران الفتح الثاني سنة 1207هـ/1759م، فقد خلّد هذا الأخير الكثير من المآثر الحضارية والعمرانية، حيث تناولته العديد من المصادر التاريخية وأسهبت في عدّ خصاله ومكارمه وسيرته النبيلة وحبه للعلم والعلماء، وشغل هذا الباي عدة وظائف في السلطة العثمانية، حيث رقي إلى منصب باي الإيالة الغربية وتلمسان، وكانت له عدة مشاريع عمرانية في معسكر ووهران وتلمسان مازالت الكثير منها باقية حتى يومنا هذا.

---

[16] مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص20.

[17] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص258.

[18] مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص22.

3- تطور الكتابات الأثرية في الغرب الجزائري:

ارتبطت الكتابات الأثرية بحركة التعمير والتشييد فقلما يخلو بناء أو منشأة أو غرض فني من هذه الكتابات بمختلف أنواعها، فعلى مر تاريخ الإسلامي بصفة عامة والمغرب الإسلامي بصفة خاصة لم يتوان السلاطين والأمراء والحكام في تسجيل أسمائهم وألقابهم على هذه المنشآت كدليل مادي ووثيقة حية شاهدة على أعمالهم وجهودهم، وعدد هذه الكتابات كان يختلف من عصر لآخر فهناك عوامل كان لها أثرها في مقدار الكتابات الأثرية التي وصلت إلينا، فمقدار الكتابات الأثرية يتفاوت حسب الحالة المادية، فتكثر الكتابات الأثرية في عصور الرخاء المادي والازدهار الحضاري والنشاط المعماري والعناية الفنية، ومن أمثلة العصور التي كثرت فيها الكتابات الأثرية بحكم رخائها وازدهارها الفني عصر المماليك في سوريا ومصر[19].

وفي المغرب الأوسط (الجزائر) نجد أن هذه الكتابات الأثرية قد عرفت تطورا ابتداء من عهد الدولة الإدريسية وهو ما تمثل في الكتابة التأسيسية على منبر جامع أغادير بتلمسان، حيث يشير ابن زرع أنه بعد بناء المولى إدريس لمسجد أغادير بعد دخوله للمدينة صُنع له منبر في المرة الأولى ونقش عليه كتابة مؤرخة بعام 174هـ/790م[20]، إضافة إلى كتابة ثانية منقوشة على المنبر الجديد الذي أمر بصنعه الأمير إدريس الثاني والمؤرخ بسنة 199هـ/814م، وأما العصر الفاطمي بالمغرب، فقد شهد انهماك الدعاة الفاطميين في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي والحروب التي كانوا يشنونها على المناوئين لدولتهم ودعوتهم، مما أثر سلبا على أي مجهود حضاري في مجال العمارة والفنون، وبمجرد أن سنحت لهم الظروف انتقلوا إلى مصر، تاركين وراءهم خلفائهم الزيريين ثم انشق على الزيريين بنو عمومتهم الحماديين، واقتصرت النقوش الكتابية على ما انتجته دور الضرب الفاطمية من القطع النقدية التي سُجلت نصوصها الكتابية بالخط الكوفي الفاطمي بأنواعه ابتداء من مرحلة التوريق

---

[19] حسن الباشا، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، المجلد الثالث، الطبعة الأولى،أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، 1420 هـ/1999م، ص217.

[20] Labbé Barges, **Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom**, Benjamin Duprat libraire de l'institut et de la Bibliothèque Impériale, Paris**,** 1859, p 165-166.

-وليم وجورج مارسي: **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، ترجمة مراد بلعيد وآخرون، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص26.

في عهد أبي القاسم محمد القائم بأمر الله، ثم تطور في مرحلة تالية إلى الكوفي المزهر في عهد المعز لدين الله قبل انتقاله إلى مصر.

أما في العهد الزيري فقد شهد شحا في الكتابات الأثرية، واقتصر فقط على النقش المرصع في زاوية ضريح سيدي عقبة، وهي منفذة بالخط الكوفي وخالية من أي تأريخ وقد تم تأريخها بالقرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وعلى العكس فقد تم العثور على عدد كبير من النقود الزيرية التي كُتبت نصوصها بالخط الكوفي المورق متأثرة بالمسكوكات الفاطمية من حيث الشكل والمضمون، حيث بدأ نمط الخط الكوفي يتراجع عن جماله المعهود إذ أصبح الكوفي البسيط هو الغالب بعد إعلان المعز بن باديس عداءه للخلافة الفاطمية[21].

أما عصر المرابطين فشكل مرحلة فارقة في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث شهدت هذه الفترة نهضة حضارية وعمرانية، وذلك بفضل العلاقات الحضارية والعلمية التي قامت بين المغرب والأندلس، والتي انعكست إيجاباً على ميدان الفن والعمارة، مما أدى إلى تطور في الطرز الكتابية، حيث تُشكل الكتابة الأثرية بالخط النسخي والمنقوشة على قبة جامع تلمسان الكبير أول كتابة نسخية في المغرب الإسلامي، ولم يقتصر الخط اللين فقط على العمارة بل سُجلت به نصوص السكة بنوعيها الذهبية والفضية، وإلى جانب ذلك بقي المرابطون متمسكون بالطراز الكوفي وظهر على العمارة والفنون وقطع العملة، ومن أهم النقوش الكتابية المرابطية نجد: كتابة لوحة من خشب الأرز كانت جزءا من منبر جامع ندرومة [22]، الكتابة المنحوتة على الجص التي تقع على الأوجه الأربعة من قبة محراب الجامع الكبير، وأيضاً الكتابتان اللتان وجدتا على قطعة من الخشب تحيط بفتحة يظن أنها باب المقصورة[23]، ومما يلاحظ في عصر المرابطين هو توظيفهم للكتابات الأثرية على العمارة بمختلف أنواعها والتحف

---

[21] ليلي مرابط، **الكتابات الشاهدية الزيانية 8-10هـ/14-16م مجموعة متحف تلمسان دراسة أثرية تحليلية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر ،2001-2002م، ص18-19.

[22] عبد العزيز لعرج، **المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة: المسجد الجامع**، منشورات مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 06، ص142.

[23] رشيد بورويبة، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، ترجمة إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ / 1979م، ص65-67.

الفنية على حد سواء، حيث لا يكاد يخلو أثر فني من هذه الكتابات على آثارهم المعمارية والفنية سواء في حواضرهم الكبرى الجامع الكبير بتلمسان، وجامع الجزائر، وجامع ندرومة، إضافة إلى المغرب الأقصى الذي ضم عددا كبيرا من ميراث هذه الدولة العظيمة، ورغم زوال الكثير من معالم المرابطين نتيجة التقادم وعمليات الطمس والهدم والتخريب على يد دولة الموحدين، إلا أن المدن المغربية ما تزال صامدة وشاهدة على سمو العمارة والفن في العصر المرابطي، وشهد حقل الكتابات الأثرية العربية في العهد الموحدي تراجعا من حيث عدد النقوش الكتابية سواء المعمارية أو الشاهدية، وكذا التحف الفنية، فقد تضاءل عدد هذه الكتابات المكتشفة، مقارنة مع الفترة المرابطية، وفي الجزائر لم يولي أتباع ابن تومرت اهتمام بالعمارة، فقد كانت جهودهم مقتصرة على إحاطة المدن بالأسوار كما هو الشأن بالنسبة لمدينة تلمسان.

وأما العصر الزياني فكان من أزهى عصور تاريخ المغرب الأوسط حيث أولى السلاطين الزيانيين أهمية كبيرة للبناء والتعمير والاعتناء بالفنون، وهو ما يتجلى في العمائر المختلفة والتحف الفنية، حيث لم يتوان هؤلاء الحكام في تسجيل أسمائهم عليها، وبلغ الخط العربي مكانة من التجويد والتحسين بسبب العلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب والأندلس، الذي ظهرت تأثيراتهم واضحة على طرز الكتابة، ومن بين أهم النقوش الكتابية الزيانية الكتابة التأسيسية والوقفية في آن واحد لمسجد أبي الحسن التنسي وكتابات المحراب[24]، وغير بعيد عن مسجد أبي الحسن هناك نقيشة كتابية عبارة عن لوحة مصنوعة من خشب الأرز مُثبتة في الجدار الجنوبي الغربي للجامع الكبير بتلمسان[25]، كما توجد في الجدران الداخلية للقصر القديم بالمشور كتابات أثرية منفذة على الحجر، كما وجدت كتابة أخرى على مئذنة المشور وجاءت نصوصها كما يلي: "يا ثقتي يا أملي أنت الرجاء أنت الولي اختم بخير عملي"[26].

---

[24] رشيد بورويبة، **المرجع السابق**، ص77.

[25] Charles Brosselard, **les Inscriptions Arabes de Tlemcen**, Revue Africaine Journal des Travaux, de la Société Historique, 1862, Alger.

– رشيد بورويبة ،**المرجع السابق**، ص 69.

[26] **نفسه**، ص 65.

ولم يكن المرينيون أقل شأنا من بني عبد الواد، فقد اتسم وجودهم بالمغرب الأوسط بالبناء والتشييد، إذ شيد أبو الحسن المريني المركب المعماري في العباد الذي ضم الجامع والمدرسة والحمام وغيرها من المرافق، وفي مستغانم أسس بنو مرين المسجد العتيق، فاحتلت الكتابات الأثرية مكانة مهمة في المنشآت المرينية ولم تكن في المغرب والأندلس في كل عصوره المختلفة بالحجم والكثافة التي وظفها بنو مرين في تلمسان والمغرب[27]، ومن بين الكتابات الأثرية العربية الشاهدة على هذه المنجزات العمرانية، نجد في تلمسان الكتابة الموجودة في باب مسجد المنصورة، إضافة إلى كتابات مسجد سيدي أبي مدين المكتوبة منها على الزليج في شريط ممتد فوق الإطار المستطيل، والكتابة الثانية المنقوشة على لوحة من الرخام والمثبتة على يسار البلاطة الوسطى أمام المحراب، إضافة إلى كتابات تيجان محراب جامع أبي مدين وأيضا الكتابات المنفذة على مدخل هذا المعلم الديني، وأما في مسجد سيدي الحلوي الذي بناه أبو عنان فارس تكريماً للقاضي أبي عبيد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، فقد ضم هذا الجامع كتابات أثرية منقوشة على أبدان العمودين الأولين في الممر الأوسط وتخللت هذه الكتابة رسم لساعة شمسية ذكر فيها اسم صانعها بحروف كوفية، إضافة إلى كتابة أثرية أخرى تُزين العقد العلوي لمدخل جامع سيدي الحلوي، إضافة إلى كتابتان تزينان تيجان أعمدة محراب المسجد، وفي مستغانم شيد المرينيون المسجد العتيق التي ما تزال الكتابة التأسيسية والوقفية شاهدة على ذلك.

وتميز بايلك الغرب الجزائري في العصر العثماني بفترات سادها البناء والتعمير نظراً لاهتمام بعض بايات هذا الإقليم بذلك، حيث تركوا بصماتهم في ميدان العمران والعمارة والفنون، وماتزال النقوش الكتابية التأسيسية سواء تأسيسية أو تخليدية أو وقفية دليلاً ماديا على روح ذلك العصر، فنجد من الكتابات الأثرية في عهد الباي مصطفى بوشلاغم الذي كان له الفضل في دحر الغزاة الإسبان وفتح مدينة وهران الفتح الأول سنة 1119هـ/1707م، وقد أعقب هذا الحدث سلسلة من المشاريع العمرانية والمعمارية كان من أبرزها القصر

---

[27] لعرج محمود عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، دراسة أثرية فنية، القسم الثالث، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1999م، ص896.

القديم والقصبة إضافة إلى مرافق أخرى كالحمام والمخزن والأقواس، إضافة إلى بعض البنايات الأخرى، ورغم اندثار هذه المعالم إلا أن الكتابات الأثرية الخاصة بها ماتزال محفوظ وشاهدة عليها؛ ومن أبرز هذه الكتابات الأثرية العربية كتابة الحمام والمخزن وبناية الأقواس، إضافة إلى كتابات لمنشآت أخرى تعذر علينا معرفة طبيعتها نظرا لفقدان أجزاء منها، أما في عهد الباي الحاج عثمان فقد قام هو الآخر بالعديد من الإنجازات المعمارية ومنها بناؤه للجامع الأعظم بالمعسكر، وقبة الباي إبراهيم، إضافة إلى بناء الدار الملاصقة للقبة السابقة الذكر، حيث تتضمن الكتابات الأثرية معلومات مُهمة عن اسم المؤسس وسنة البناء ووظيفة كل منها.

وتشكل فترة تولي الباي محمد بن عثمان المُلقب بمحمد الكبير من أغنى الفترات التاريخية التي مر بها بايلك الغرب الجزائري، حيث وُصف هذا الباي بحبه للعلم والعلماء والطلبة وقربهم منه، وكان له الفضل في فتح وهران الفتح الثاني بعد طرد الاسبان عنها سنة 1206هـ/1791م، فكان من المولعين بالبناء والتعمير، خاصة بعد الزلزال الذي ضرب وهران، حيث شمر هذا الباي عن سواعد الجد وبدأ في دفع وتيرة المشاريع العمرانية والمعمارية، ومن جملة المعالم التي بناها في الإيالة الغربية نجد بناؤه مسجد بن ناصف بمعسكر، إضافة إلى المدرسة، وقلعة البرج الأحمر سنة 1207هـ/1292م، وبناؤه للمدرسة الجليلة لخنق النطاح التي يوجد بها ضريحه، وبناؤه لجامع الباشا أي جامع حسن باشا، وبناؤه لجامع عين البيضاء بمعسكر سنة 1780/1195م[28]، كما قام الباي محمد الكبير بتجديد بناء مدرستين بتلمسان وأرجع إليهما رونقهما، وأعاد إليهما حبسهما القديم وزاد عليه، فاستعادت بفضله بريقهما ودورهما العلمي والتربوي، حيث أصبحت مراكز مهمة لتلقي الدراسات الدينية والأدبية بعدما فقدتاها مدة طويلة[29]، والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن تلمسان لم تكن محط اهتمام السلطات العثمانية، فهذه المدينة لم يعد لها بريق شهرة وأبهة المجد التي كانت تتوشح بها طيلة قرون مضت كعاصمة للمغرب الأوسط في أوج حكم الزيانيين، فضاعت بذلك مكانتها العلمية

---

[28] للاستزادة أكثر يُنظر: ابن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص 134- 135؛ محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص260- 261؛ الأغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، ص289-295.

[29]- أحمد ابن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى، عالم الكتب القاهرة، 1389هـ/1969م، ص27.

والسياسية في هذا العصر، فلم يسلك العثمانيون نفس المنحى في التعمير والتشييد الذي سلكوه في مدينة الجزائر ولم يشيدوا ما يخلد ذكراهم في المدينة، فغاية ما بنوه بها مسجد سيدي اليدون، وضريحين بقرية عين الحوت إجلالا للرجلين الصالحين سيدي عبد الله بن منصور وسيدي محمد بن علي، لأن تلمسان كانت في أول عهد الأتراك قاعدة إيالة يحكمها باي غير تابع لباي مازونة وقد استمر ذلك إلى عام 1098هـ/1697م[30].

ويصف لنا لويس بياس ظاهر الحياة في تلمسان في أواخر عهد بني عبد الواد وتسلم العثمانيين زمام الحكم فيها بقوله: "... وأصبحت الحضارة في تلمسان تتلاشى شيئا فشيئا، وأصاب الضعف والإحباط فئة الصناع فقرروا الهجرة من هذه المدينة هربا من فورة ووحشية العسكر، حيث أزيلت الحياة من ذلك الجسد الذي أصبح بدون روح، بعدما احتدمت الصراعات الدامية والمؤامرات وأحكام الإعدام، كانت هذه أهم المشاهد المحزنة لتلمسان التي عاشتها قرابة مائتين وسبعون سنة (1553هـ/1830م)..."[31]، فقد اقتصر نشاط الباي بن عثمان العمراني في هذه المدينة وإعادة بناء مسجد لالة روية سنة 1206هـ/1796م على إصلاح وترميم ما تلاشى من ضريح سيدي بومدين، وسقف مدرسة العباد ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي ومسجد سيدي لحسن بن مخلوف الراشدي الذي لحقه الخراب فيما بعد، ويضاف إلى ذلك كله دار الباي، ومن الكتابات الأثرية التي ماتزال باقية إلى يومنا هذا نجد: الكتابة التأسيسية لضريح سيدي محمد بن علي والمؤرخة بسنة 1178هـ/1764م وكان ذلك في عهد الباي إبراهيم المليانى وبأمر من الباشا، وهناك أيضا كتابة أثرية على الجص في مدخل ضريح سيدي أبي مدين شعيب مؤرخة بسنة 1208هـ/1793م، أي في فترة حكم الباي بن عثمان، والكتابة الأثرية التأسيسية لضريح سيدي عبد الله بن منصور بعين الحوت والمؤرخة بسنة 1218هـ/1803م وهي في مدة حكم الباي مصطفى المنزلي.

---

[30] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص97 -98.

[31] Louis Piesse, **Itinéraire Historique et descriptif de L'Algérie Comprenant le tell et le Sahara** , Imprimerie de Ch . Lahure Et C, Paris, p240.

خلال دراستنا لبعض الكتابات الأثرية العثمانية في الغرب الجزائري، شخّصنا بعض العلل والنقائص والتشوهات التي تُشكل ضررا كبيرا على التراث الأثري الغني لبلادنا وتَحرم الكثير من الباحثين والمختصين من الاستفادة من تلك المعلومات القيمة والحقائق التاريخية الموجودة، ناهيك عن الزوار والسياح القاصدين لهذه المعالم التراثية حيث تحول هذه المشاكل من عدم فهم الكثير من التفاصيل التاريخية والمعمارية والفنية وهو ما يُفقدهم لذة التمتع بها، فمن بين هذه النقوش الأثرية نجد بعض منها رهينة الإهمال واللامبالاة والطمس، وعينات أخرى أُدمجت كتاباتها ووُظفت في غير موضعها الأصلي في البناية أو المعلم أي أنها ثُبتت في معلم غير معلمها الأصلي، وهذا ما يخلق إشكالا تاريخيا وأثريا يُصَعب مهمة تأريخه ومعرفة جوانبه الأثرية سواء لدى الباحثين المختصين أو الطلبة أو الزوار لهذه المواقع الأثرية، وكتابات أخرى شابها التشويه وغيرت معالم كتابتها بفعل التدخل العشوائي وغير المنهجي والمنظم، فأول نموذج هو وقفية دار الباي الحاج عثمان.

3-1-كتابة وقفية دار الحاج عثمان بمعسكر:

✓ **نص الوقفية:**

1- الحمد لله الذي وفق عباده لسلوك المتقين ودلهم لصالح. 2- الأعمال التي ينتفع بها الإنسان والصلاة والسلام على. 3- المبعوث بالمعجزات والآيات البينات صلى الله عليه وآله صلاة. 4- وسلام دائما بدوام الأرض والسماوات أما بعد فإن السيد. 5- أزن محمد بولكباشي [باع ...] جميع الدار الكائنة على. 6- ملكه بأم العساكر التي كان قد اشتراها من سهره الناسك الآمر. 7- أمير الوقت مولانا الحاج عثمان باي كما هو ذكر الشراء بيده. 8- مختوما بطابعه والتحبيس على عقد الذكور والإناث وما تناسلوا. 9-وامتدت فروعهم على عقبهم وعقب عقبهم ومن مات عن غير عقب. 10- رجع نصيبه إلى الباقين إلى النسل رجعت الدار المذكورة إلى مكة. 11- والمدينة تحبيسا لا يبدل ولا يغير وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب. 12- ينقلبون بتاريخ ربيع الأول عام أربعة وستين ومائة وألف شهد بذلك سيدنا الحاج مصطفى بن بوشلاغم.

✓ **موقع وتاريخ الوقفية:**

الصورة 01: مسجد عين البيضاء (المبايعة)

ومن خلال تفكيك نصوصها الكتابية لا نجد أي إشارة إلى موقع الدار المذكورة في اللوحة، وإنما جاء ذكر اسم مدينة المعسكر باسمها القديم "أم العساكر"، وكذا تاريخ التأسيس الذي كان في حدود عام 1164هـ/1750م، أي خلال فترة ولاية الباي الحاج عثمان الذي صنفه صاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في الصف العشرين في ترتيب البايات الذين حكموا الإقليم الغربي، حيث نجد هذا الحاكم عكس الكثير من البايات قد تولى هذا المنصب لفترتين، ففي الأولى عينه باشا الجزائر على تلمسان ولكنه لم يمكث طويلا إذ قام أهلها بالانقلاب عليه رفقة أحد أفراد عائلة المسراتية المتنفذة في ذلك العصر وهو الباي يوسف المسراتي، ثم أعيد تقليده بايا على الإيالة الغربية وتلمسان للمرة الثانية في أواسط محرم سنة 1160هـ/1747م، وقد شهدت مرحلة حكمه عدة إنجازات معمارية من بينها المسجد الأعظم بمعسكر ودامت فترة حكمه تسعة أعوام[32]، ففي غياب الهيكل المعماري أو بالأحرى المعلم الأثري الذي تُشير إليه الكتابة التأسيسية، فيصبح من العسير تناوله معماريا في غياب القرائن الأثرية الدالة عليه سوى ما تضمنته اللوحة الوقفية من معلومات محددة عن مؤسسه وتاريخ التأسيس وكذا أركان الوقف، وهي معلومات مفيدة للباحثين، ولكن ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال هو الموضع الذي ثُبتت فيه لوحة الوقف الخاص بهذه الدار، كما أشرنا آنفا نجد هذه الأخيرة مغروزة في الجدار الغربي لمسجد عين البيضاء، وهذا المكان ليس الفضاء الطبيعي لهذه الكتابة وبالتالي قد يخلق مثل هذا الإجراء الحيرة والتساؤل وعلامات الاستفهام لدى الزوار والسياح وحتى الباحثين، فالأولى وضعها في المتحف مع وضع مجسم افتراضي للدار التي تشير إليها وكذا تحديد موقعها في النسيج العمراني للمدينة.

---

[32] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص 255-256؛ مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص20؛ الأغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، ص102.

الصورة 02 : الكتابة الوقفية لدار الباي الحاج عثمان

✓ **الدراسة الوصفية:**

هي عبارة عن لوحة رخامية مقاساتها: 64 سم×49 سم، لونت خلفيتها باللون البني أما نصوص الكتابة فقد لونت باللون الذهبي، نُفذت هذه الأخيرة بخط الثلث المغربي وبأسلوب النقش البارز، وقد تضمنت نصوص هذه الكتابة اثنتي عشرة سطرا، هذه الوقفية المثبتة في الجدار الغربي لمسجد عين البيضاء (مسجد المبايعة). ومن الأخطاء الظاهرة على هذه الكتابة المحو المتعمد لبعض نصوص الكتابة التأسيسية لقبة الباي إبراهيم بمعسكر.

هذه الوقفية التي تؤرخ بسنة 1164هـ/ 1757م، تعود إلى فترة حكم الباي الحاج عثمان كما هو مُدون على اللوحة التي ثُبتت في الجدار الغربي لجامع عين البيضاء بمعسكر الذي يعود تأسيسه إلى الباي محمد بن عثمان سنة 1195هـ/1780م، والملاحظ أن الفارق الزمني كبير بين الفترتين التاريخيتين، والظاهر أن من أدمج هذه الكتابة الأثرية لا يعلم تاريخ هذه الوقفية ومكانها الأصلي، ولكننا من خلال الاعتماد على المصادر التاريخية نجد أن هذه الدار التي بناها الباي الحاج عثمان كانت من بين المنشآت التي بناها إبان مدة حكمه، وكانت بعد بناء القبة ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية أكثر من مصدر وفي هذا يقول ابن القاسم الزياني: "ثمَّ بنى الدار والقبَّة الملاصقة للجامع الأعظم بالمعسكر، المعروفة عند الناس بقبَّة الباي إبراهيم"[33]، وبالتالي الدار التي قصدها الزياني هنا هي الدار التي بنيت بجوار القبة وهي التي وقفها الباي، ولذلك نُرجح أن تكون تلك الكتابة الوقفية مرتبطة بها، فمكانها الطبيعي هو بجانب القبة وليس في مكانها الحالي الذي لا يمت لها بأي صلة، فالمفروض في مثل هذه الحالات أن تُعاد هذه الوقفية إلى مكانها الأصلي كما قلنا أو توضع في المتحف ببطاقة تعريفية حتى يطّلع عليها الباحثون والطلبة والزوار.

---

[33] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص 257.

3-2- قبة الباي إبراهيم بمدينة معسكر:

✓ **نص الكتابة :**

الصورة 03 : مسجد مصطفى التهامى بمدينة معسكر

1- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على مولانا محمد. 2- أما بعد أمر ببناء هذه الدار المباركة الأمير. 3- الأجل العدل الشهير الأكمل الرفيع. 4- الحظ المجاهد المرابط المقسط عدله.5- في الجوائز مدن الناحية الغربية عبد الله. 6- أمير المؤمنين مولانا الحاج.7- عثمان بن إبراهيم خلد الله ملكه وأدامه. 8- ونصره حسبما أمر أيده الله بتشييد هذه. 9- القبة العظيمة حرمة للشيخ الجليل سلطان. 10- الصالحين سيد عبد القادر الجيلاني أدركنا. 11- الله رضاه قصد بذلك وجه الله العظيم. 12- وثوابه الجسيم بتاريخ فاتح محرم الحرام عام. 13- سبعة وستين ومائة وألف.

✓ **موقع وتاريخ القبة:**

الصورة 04: الكتابة التأسيسية لقبة الباي إبراهيم

تقع هذه القبة في وسط مدينة معسكر، وبالضبط ملاصقة لمسجد مصطفى التهامي، وتمثل في الوقت ذاته ملحقة من ملحقات هذا المعلم، واتخذت فيما بعد ضريحا للباي إبراهيم الذي دفن بها، حيث تعد هذه الأخيرة من أبرز انجازات الباي الحاج عثمان المعمارية في مدينة معسكر[34].

وقد بنى هذا المعلم الديني الباي الحاج عثمان بن ابراهيم، الذي أشرنا إلى بعض من سيرته آنفا، وكان هذا الإنجاز المعماري تخليدا للشيخ عبد القادر الجيلاني، وذلك في الفاتح من محرم الحرام سنة 1167هـ/ 1753م كما هو مسجل على هذه الكتابة وقد أصبحت هذه القبة فيما بعد مدفنا للباي إبراهيم المليانى باي الإيالة الغربية، وقد

---

[34] يحياوي العمري، **الكتابات الأثرية في الغرب الجزائر دراسة تنميطية**، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2014-2015م، ص 63.

تولى الحكم سنة 1170هـ/1756م، وكان محبا للعلماء، ومعظما للصالحين ومن مآثره بناؤه برج العسكر بمعسكر، وتوفي سنة 1185هـ/ 1771م ودُفن بمعسكر بالقبة التي بناها الحاج عثمان باي لسيدي عبد القادر الجيلاني[35]، كما سبق وأن أشرنا فهذه الكتابة الأثرية احتوت نصا تأسيسياً للقبة، ولكن خلاف لبعض الكتابات التأسيسية في العهد العثماني في الغرب الجزائري فقد تضمنت شريطاً كتابياً صغيراً أسفل الإطار الكتابي الأوسط، والذي احتوى على نصوص كتابية مطموسة وممحية ومن المحتمل أنه تعرض للطمس بطريقة متعمدة في وقت متأخر، لأن القاضي محمد بن يوسف الزياني الذي عاش في القرن التاسع عشر قد أشار إلى هذه الكتابة كاملة بما فيها الممحية في الشريط الكتابي الصغير في كتابه دليل الحيران، حيث قال: "وأمر بتحرير العلامة السيد محمد بن حواء وإخوانه، وبني عمه من جميع التكاليف المخزنية، وكتب لهم بذلك، ونص ختامه: بأمر المعظم الجليل، المجاهد الكفيل، ابن سعيد السيد الحاج عثمان، باي الإيالة الغربية وتلمسان، في أواسط جمادى الأولى عام 1167هـ"[36]، ففي مثل هذه الحالات حَرِيٌ بالقائمين والمختصين في التراث الأثري القيام بحماية هذه الكتابة من تطاول أيدي العبث والتشويه، إما بحماية اللوحة الكتابة بعازل زجاجي أو يتم نقلها إلى المتحف وتكون بذلك في مأمن من التشويه وذلك بإرفاق النص المطموس وإعادة كتابته حتى يتسنى للباحثين والطلبة الاطلاع على مضمونه

✓ **الدراسة الوصفية :**

لوحة من الرخام مثبتة في الجدار الجنوبي لبيت الصلاة، مقاساتها: 83سم×46سم، مؤلفة من ثلاثة عشرة سطرا، نفذت كتابتها ضمن ثلاثة أشرطة كتابية، استهلها الفنان بشريطين صغيرين أما الثالث فهو الأكبر والأكثر اتساعا، بحيث ضم النصيب الكبير من نصوص هذه الكتابة التي نقشت بخط الثلث المغربي وبأسلوب النقش البارز، وللإشارة فإن هناك أيضا شريط هامشي صغير أسفل الحيز الكتابي للوحة، قد تضمن هو الآخر نقوشاً كتابية، ولكنها للأسف فقد مُحيت وتم إزالة نصوصها باستثناء بعض من ملامح حروفها، كما نمق الفنان الإطار

---

[35] مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص21.

[36] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص257.

الكتابي بجملة من الزخارف النباتية الصغيرة جدا، والتي تمثلت في براعم نباتية وأوراق صغيرة، وكان القصد من ذلك هو القضاء على الفراغات المساحية في اللوحة[37].

ومن الكتابات الأثرية التي ترجع إلى العهد العثماني في الجزائر في بايلك الغرب الجزائري تلك الموجودة بقلعة بني راشد بغليزان، وهي كتابة تأسيسية مغروزة في الجدار الجنوبي لبناية حديثة متواضعة عبارة عن مسجد صغير الذي لا توحي خصائصه المعمارية والفنية أنه يؤرخ للفترة التاريخية المذكورة.

3-3-كتابة المسجد العتيق بقلعة بني راشد:

✓ نص اللوحة التأسيسية:

1- الحمد لله حق حمده أما. -2 بعد أمر ببناء هذا الجامع الأعظم. 3-أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العا. 4- لمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه. 5- المعظم في جميع أموره على ربه مجند. 6- الجنود المنصور الرايات والبنود أبي.7- المعالي مولانا حسين باي بن عثمان خلد الله. 8- ملكه وأدام عزه ونصره قصد بذلك. 9- وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم. 10- بتاريخ ربيع الثاني عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف.

الصورة 05: الكتابة التأسيسية للمسجد العتيق ببني راشد

✓ موقع وتاريخ المسجد:

يقع هذا المسجد في قلعة بني راشد بغليزان في إحدى الشوارع المحاذية للطريق المؤدية إلى حي السوخ محاطا ببعض الدور، ويُخيل للزائر المار بمحاذاة هذا المعلم المعماري الحديث والمتواضع في مخططه وهندسة بنائه أنه المعلم الأصلي الذي تُشير إليه نصوص النقيشة الكتابية المنفذة على لوحة من

الصورة 06: المسجد العتيق ببني راشد

---

[37] يحياوي العمري، **المرجع السابق**، ص62-63.

الرخام والمثبتة في أحد جدرانه، ولكن الحقيقة التاريخية والأثرية غير ذلك كون أن هذه الكتابة الأثرية هي لمسجد في غاية الجمال والأناقة بُني في العصر العثماني، في فترة الباي حسن كما هو مُدون في النص التأسيسي، والجدير بالملاحظة هو أن هذه الفترة التي بُني فيها هذا المعلم يشوبها الكثير من الغموض؛ لأن اسم المؤسس المشار إليه في النقيشة هو حسن باي وتاريخ التأسيس هو 1173هـ. ومن خلال الاستعانة بالمصادر نجد أن هذه السنة (1173هـ) هي ضمن فترة حكم الباي إبراهيم المليانى الذي تولى بايا على الإيالة الغربية في 1170هـ، والمفارقة أنه نفس التاريخ الذي وُلي فيه سلفه الباي حسن زمام السلطة، وفي اعتقادنا أن هذا الأخير مكث في الحكم أقل من سنة، وهذا ما يؤكده صاحب كتاب دليل الحيران بقوله: "حسن باي تولى سنة 1170 هـ (وهرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه باشا الجزائر، وشدد عليه وأذله، ثم خلفه أبو إسحاق إبراهيم المليانى بايا، تولَّى عام 1170هـ"، هذه نفس الرواية التي تداولها كل من محمد بن يوسف الزياني[38] ومسلم بن عبد القادر [39] والأغا بن عودة المازري[40].

ولكننا نجد في الجهة المقابلة وثيقة تاريخية على لسان كاتب الباي محمد الكبير ابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني يؤكد على أن الباي حسن بقي في الحكم ثلاث سنوات أي من سنة 1170هـ/1756م إلى غاية سنة 1173هـ/1759م، بقوله: " ثم لما فر حسن بيك إلى وهران لسبب يطول ذكره سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف وولي مكانه السيد إبراهيم بالإيالة الغربية"[41] ، وهي الرواية التي نعتقد أنها صحيحة وتتوافق مع التاريخ المثبت على النقيشة الكتابية التي بين أيدينا للمسجد الأصلي إبان فترة الباي حسن باي بن عثمان سنة (1170هـ/1756م)، وبالنظر إلى صيغة التضخيم التي نُعتَ بها "الجامع الأعظم" ويظهر من خلال هذا

---

[38] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص258.

[39] مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص21.

[40] الأغا بن عودة المازري، **المصدر السابق**، ص258.

[41] أحمد ابن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص134.

الوصف أن هذا المعلم الديني كان في غاية الجمال والهندسة المعمارية، ومن المرجح أن هذا الجامع هو الذي أشار إليه المستشرق الفرنسي "Troussel" في أحدى مقالاته المنشورة حيث يؤكد على أنه كان ضمن الإنجازات الحضارية والمعمارية وقد دمر بالكامل وفقد كل أجزائه إثر الزلزال المدمر الذي ضرب المنطقة في سنة 1887م، فإضافة إلى التوظيف الخاطئ لهذه اللوحة التأسيسية نجدها تعاني من أضرار ظاهرة حيث تعرضت إلى الكسر إلى قسمين ومن المرجح أن هذا الضرر ناتج إثر عملية تثبيتها في جدار المسجد الحديث.

لقد تضمنت نصوصها الكتابية معلومات تاريخية ذات الأهمية الكبيرة، حيث تُؤرخ لمرحلة حساسة من مراحل الوجود العثماني في بايلك الغرب الجزائري في فترة ولاية الباي حسن والتي يشوبها الكثير من الغموض وتحتاج إلى بحث معمق وجاد، يقابلها شح في المعلومات المتعلقة بالعمران والعمارة والفنون، ورغم هذا تكتسي هذه اللوحة التأسيسية قيمة أثرية وفنية من ناحية الزخرفة؛ ففيها تتجلى أصول الفن المغربي الأندلسي بكل تفاصيله وجزئياته إضافة إلى أسلوب الكتابة، حيث نُفذت كتابات هذه اللوحة بخط الثلث المغربي في غاية الاتقان يضاهي خط الثلث المشرقي في تناسق الحروف وامتداداتها وفتحات بياضها، كما كانت الزخارف المنفذة عليهاغاية في الإتقان حيث نجد العروق والسعفة النخيلية التي بسطت وقلصت وعزلت غالبا عن ساقها، فأصبحت بذلك تصلح لملىء الفراغ[42].

- ✓ **الدراسة الوصفية:**

هي عبارة عن لوحة مصنوعة من الرخام مربعة الشكل، مثبتة في السور الخارجي للمسجد، مقاساتها: 60سم× 60 سم وقد احتوت على تسعة عشر سطرا، نفذت كتابتها بخط الثلث المغربي وبأسلوب النقش البارز، وقد تضمن الإطار الكتابي للوحة قوسا على شكل مدخل بعقد مفصص، نفذت الكتابات بالخط المغربي بأسلوب النقش البارز، أما في أركان هذا العقد المفصص فقد وظف فيه الفنان بعض الوحدات الزخرفية

---

[42] وليام وجورج مارسي، **تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى**، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص99؛ يحياوي العمري، **الكتابة التأسيسية للمسجد العثماني العتيق بقلعة بني راشد بغليزان دراسة تحليلية فنية**، مجلة دراسات تراثية، مجلة علمية تصدر عن مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، العدد 07، الجزائر، 2017م، ص236-237.

النباتية، التي تمثلت في بعض المراوح النخيلية المحورة عن الطبيعة، ومن المؤسف جداً أن تكون هذه الكتابة التاريخية بحجم الوثيقة المادية النادرة عرضة للامبالاة والإهمال، فمضامينها ذات قيمة تاريخية وأثرية كونها تؤرخ لمرحلة مهمة من مراحل الوجود العثماني، وفترة يشوبها الغموض (ولاية الباي حسن)، فلاحظنا أن أغلب المصادر التاريخية الأساسية قد أخطأت في تحديد فترة حكم الباي حسن إلا مصدر واحد.

3-4-كتابة ضريح سيدي محمد بن علي:

✓ **تفكيك النص :**

1- بسم الله الرحمن الرحيم. **2-** صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله. **3 -** أما بعد أمر ببناء هذا المقام السعيد أمير المسلمين. **4-** المجاهد في سبيل رب العالمين المنصور بفضل. **5-** الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره على ربه. **6-** مجند الجنود المنصور الرايات والبنود مولانا. **7-** الدولاتلي السيد علي باشا أمر بذلك المعظم. **8-** الأرفع السيد إبراهيم باشا باي قصد بذلك وجه الله. **9-** العظيم ورجا ثوابه الجسيم وهو مقام. **10-** الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح سيدي محمد .....1764م. **11-** ابن العالم سيدي محمد بن علي بن عبد الله بن منصور نفعنا الله بهم آمين. **12-** عام ثمانية وسبعين ومية وألف.

✓ **موقع وتاريخ الضريح:**

يقع ضريح عبد الله بن المنصور* الذي يضم هذه النقيشة الأثرية في قرية عين الحوت وهي بلدة واقعة على بعد 07 كلم إلى الشمال من تلمسان، وهي المكان الذي آوى إليه أفراد من أسرة آل البيت من الأدارسة ويرجح بعض الباحثين أن هذه المنطقة تضم قبور بعض المنحدرين من هذه السلالة، وهم سليمان بن عبد الله الكامل أخ

---

*هو أحد مشايخ بلدة عين الحوت الذي وُصف بالتقوى والزهد والكرامات وهو سليل أسرة إدريس بن عبد الله، وهو عبد الله محمد بن علي بن منصور كما كتبه بيمينه في مؤلفه، ولد بعين الحوت وتوفي بها يوم الخميس 27 من شهر رمضان سنة 1174هـ، الذي يوافق 29 أفريل1761م، وفي نفس سنة وفاته شيد له الضريح، كما هو مبين على اللوحة التأسيسية الموجودة في الركن الجنوبي الشرقي، عبد الرحيم بن منصور، **عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان**، دار نشر ابن خلدون، تلمسان، 2011م، ص130؛

Charles Brosselard , **Op.Cit**, p 16-17.

المولى إدريس أو ولده محمد بن سليمان على اختلاف الروايات، حيث يذهب المؤرخون إلى أن جميع الشرفاء السليمانيين ينحدرون من تلك القرية[43]، وقد أمر ببناء هذا الضريح علي باشا بوصبع الذي حكم من سنة 1168هـ إلى 1179هـ الموافق لـ 1754-1766م، وقد ذكره محمد بن يوسف الزياني في تعداده للبشاوات الذين حكموا الجزائر فقال: " ثم تولى علي باشا سنة 1168هـ/1854م[44]، وأوكل الباشا إلى باي بايلك الغرب الجزائري أبو إسحاق إبراهيم المليانى بالتكفل بعمارة هذا المعلم الديني[45] وذلك سنة 1178هـ/1764م كتخليد من هؤلاء الحكام العثمانيين لأحد أولياء بلدة عين الحوت وسليل أسرة إدريس بن عبد الله، وهو عبد الله محمد بن علي بن منصور[46].

الصورة 07: ضريح سيدي محمد بن علي بتلمسان

لقد تعرضت هذه الكتابة التأسيسية إلى بعض التدخلات غير المدروسة بفعل صبغها بالأصباغ التي أثرت خاصة على نصوصها الكتابية مما تسبب في طمس معالم حروفها وطالها التشويه، وحتى تلك الألوان المنفذة عليها لا تتوافق مع طبيعة اللوحة الأثرية، مما أثر سلبا على التكوين الخطي للنقيشة مما ألحق ضررا بصور الحروف التي تُعد ركيزة الكتابات التي أُفرغت من محتواها الفني بفعل العيوب التي نتجت عن تلك الأصباغ، فغابت بذلك جمالية التكوين الفني للوحة وغُيبت هوية الحرف العربي وانتمائه، إن هذا الإجراء الاعتباطي من شأنه أن يُقلل من قيمة هذه الكتابات الأثرية العربية، حيث شوهت هذه الأصباغ المنفذة عليها حديثا هوية الحروف وانتمائه،حيث أصبحت النقيشة الأثرية بعد ذلك مجرد لوحة بسيطة مغروزة في جدار، يقول عبد العزيز الدوري: "ويتبين لنا من تتبع تاريخ الحرف العربي أنه بدأ من

---

[43] مولاي عبد الرحمن بن زيدان، **المرجع السابق**، ص 406.

[44] محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص247.

[45] ابن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص134-135؛ محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص247؛ مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص21.

[46] عبد الرحيم بن منصور، **المرجع السابق**، ص130.

أوليات قديمة أوجدها أسلافهم وأنه نما وتطور وتفرع وتكامل عبر التاريخ، ليكون ملائما لمستلزمات اللغة العربية وحاجاتها ومنسجما مع الذوق العربي ومع النفسية العربية، وتتمثل في أشكال الحرف العربي وطرق رسمه جانب من الاستعداد الفني عند العرب ومن مواهبهم الفنية"[47].

الصورة 08 : الكتابة التأسيسية لضريح سيدي محمد بن علي

فالأهمية الأثرية لهذه اللوحة تكمن فيما تحتويه من ناحية الشكل من أسلوب الخط المنفذ عليها وكذا أنواع الزخارف، أما المضمون فهو ما تزودنا به هذه النقيشة الأثرية من معلومات تاريخية وسياسية واجتماعية ودينية، ولكن للأسف الشديد، فهذه الكتابة الأثرية تعرضت هي الأخرى إلى العبث والتشويه نتيجة التدخل غير المنهجي والاعتباطي، فهذه اللوحة الأثرية تكمن أهميتها وقيمتها بالدرجة الأولى في الأساليب الخطية والزخرفية المنفذة عليها، وهي في نفس الوقت قرائن أثرية يستدل من خلال الباحث أو المختص لمعرفة أهم التطورات التي طرأت على مسيرة الخط العربي والزخرفة الإسلامية، ولكن مثل هذه الأعمال تحول دون تتبع هذه الظواهر الحضارية، لأن صبغ هذه الآثار الفنية سيغير في النمط العام والتصميم الخطي للوحة الأثرية وهذا قمة العبث واللامبالاة.

- ✓ **الدراسة الوصفية :**

لوحة رخامية مستطيلة الشكل مغروزة في الجدار الشرقي للضريح، مقاساتها 75سم × 50سم تتألف من ثلاثة عشرة سطرا، نفذت الكتابة بالخط المغربي وبأسلوب الحفر البارز، وقد جاءت هذه اللوحة غفلا من الزخرفة بأنواعها، والملاحظ أن هذه اللوحة في حالة سيئة من الحفظ، نظرا للترميمات السيئة التي أجريت عليها حيث تم دهنها مما محى وطمس رسوم بعض الحروف.

---

[47] نخبة من الأدباء، **مزايا الحرف العربي**، مجلة الأقلام، العدد الأول، 1964م، ص 144.

4- خاتمة :

ومُختصر القول ومستخلصه أن مثل هذه الدرر من الكتابات الأثرية العربية هي في حقيقة أمرها وثائق مادية تاريخية وأثرية رسمية لا تقبل الطعن فيها بسهولة، وهي بمثابة بطاقة هوية للآثار الشاخصة سواء الثابتة منها أو المنقولة، فاحتفت هذه الشواهد الأثرية الإنسانية بين مدلول اللفظ مع جمالية الأداء والتجسيد، وستبقى هذه النقوش الأثرية ناطقة رسمية باسم المعالم الأثرية التي شُيدت على مدار فترات التاريخ المختلفة، وستظل بدونها هذه المنشآت هياكل صماء، لا يستطيع الباحث أو المشاهد تقصي من هم مؤسسوها وما هي ظروف تأسيسها وإنشائها، وتتعاظم قيمة هذه الكتابات الأثرية على المعالم الأثرية عند اندثار هذه الأخيرة، فتصبح في هذه الحالة اللوحات الأثرية الدليل الوحيد على الآثار المندثرة، وهي من يحفظ المعلومات المختلفة الخاصة به، فكم من معلم أثري ذهبت أغلب ملامحه المعمارية وخصائصه الفنية، وبقيت نقوشه دليلا وعونا ومعينا للباحثين والسياح والزوار في تقصي تاريخه وحقائقه وأخباره، فقد أردنا من خلال هذه الدراسة المقتضبة أن ننبه إلى ما تعانيه هذه الكتابات الأثرية سواء عن جهل من المسؤولين أو تعمد من بعضهم.

إن بعض الممارسات هي تشويه للتاريخ وتحريف لمساره وعبث بتراث الأمة، لذلك فمن بين التوصيات والاقتراحات التي نقدمها كزبدة لهذا البحث وكنظرة موضوعية للنهوض بالتراث الأثري هي:

- ضرورة وضع هذه النقائش الكتابية في موضعها الأصلي لأنه الفضاء المثالي والطبيعي لها، فالكتابات التي غُير مكانها كفيلة بأن تحدث خلطا واضطرابا في فهم التاريخ واستيعابه (مثال على ذلك كتابة وقفية الباي الحاج عثمان، الكتابة التأسيسية لمسجد قلعة بني راشد).

- يجب على القائمين على حفظ التراث الأثري محاربة كل أشكال التدخلات العشوائية وغير المدروسة لترميم بعض الكتابات الأثرية من خلال صبغ ودهن هذه اللوحات الأثرية، مما يُغير ويشوه قيمتها التاريخية والأثرية (كتابة ضريح سيدي محمد بن علي).

- ومن الأحسن وضع البعض من هذه الكتابات الأثرية التي تعرضت للضرر في المتحف، حتى يمكن صيانتها دوريا، فأحسن مثال على ذلك الكتابة التأسيسية للجامع العتيق لقلعة بني راشد التي تعرضت للكسور، رغم أن هذه الكتابة ذات أهمية تاريخية وأثرية لأنها تتضمن معلومات في غاية الأهمية عن فترة حساسة من تاريخ بايلك

الغرب الجزائري بصفة عامة ومعسكر بصفة خاصة، ففي حين سكتت المصادر التاريخية عن تزويدنا بمعلومات عن فترة الباي حسن وتضمنت أخطاء في تحجيج فترته، تنطق هذه النقيشة الأثرية وتُفصح عن مظاهر الفن والجمال من خلال تأثيرات الفن المغربي الأندلسي الظاهرة والجلية على هذه اللوحة من خلال أسلوب الخط والزخرفة.

5- **البيبليوغرافيا:**

- **المصادر والمراجع:**

– المصادر:

– ابن عبد القادر مسلم، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

– ابن هطال أحمد التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1389هـ/1969م.

– الراشدي أحمد ابن محمد بن علي بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

– الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق المهدي البوعبدلي، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

– المزاري الأغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي،، بيروت– لبنان1411هـ/1990م.

– المراجع:

– ابن منصور عبد الرحيم، **عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان**، دار نشر ابن خلدون، تلمسان، 2011م.

– الباشا حسن، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420 هـ/1999م.

- بورويبة رشيد، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، ترجمة إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ / 1979م.

- شاوش الحاج محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.

- عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2005 م،

- مارسي وليم وجورج، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، ترجمة مراد بلعيد وآخرون، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

- مارسي وليم وجورج، **تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى**، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر.

- **المجلات:**

- العمري يحياوي، **الكتابة التأسيسية للمسجد العثماني العتيق بقلعة بني راشد بغليزان دراسة تحليلية فنية**، مجلة دراسات تراثية، مجلة علمية تصدر عن مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، الجزائر، العدد 07، 2017م.

- لعرج محمود عبد العزيز، **المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة: المسجد الجامع**، منشورات مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 06.

- نخبة من الأدباء، **مزايا الحرف العربي**، مجلة الأقلام، العدد الأول، 1964م.

- **الرسائل الجامعية:**

- العمري يحياوي، **الكتابات الأثرية في الغرب الجزائر دراسة تنميطية**، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان 2014-2015م.

– لعرج محمود عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، دراسة أثرية فنية، القسم الثالث، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1999م.

– لواليش فتيحة، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثمن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1994م.

– مرابط ليلي، **الكتابات الشاهدية الزيانية 8–10هـ/14–16م مجموعة متحف تلمسان دراسة أثرية تحليلية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2001–2002م.

- **المراجع باللغة الأجنبية:**

-Barges Labbé, **Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom**, Benjamin Duprat libraire de l'institut et de la Bibliothèque Impériale, Paris, 1859.

- Esterhazy Wasin, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles Gousselin, Paris , 1840.

- Piesse Louis, **Itinéraire Historique et descriptif de L'Algérie Comprenant le tell et le Sahara** , Imprimerie de Ch . Lahure Et C, Paris.